@ 461 @ يدفعون عنكم الضر . ! 2 2 ! من مرض ، أو فقر ، أو شدة ونحو ذلك ، فلا يدفعونه بالكلية . ^ (و) ^ لا يملكون أيضا ! 2 2 ! له من شخص إلى آخر ، من شدة إلى ما دونها . فإذا كانوا بهذه الصفة فلأي شيء تدعونهم من دون ا ؟ فإنهم لا كمال لهم ، ولا فعال نافعة . فاتخاذهم آلهة نقص في الدين والعقل ، وسفه في الرأي . ومن العجب ، أن السفه عند الاعتياد والممارسة ، وتلقيه عن الآباء الضالين بالقبول ، يراه صاحبه ، هو الرأي السديد ، والعقل المفيد . ويرى إخلاص الدين الواحد الأحد المنعم بجميع النعم الظاهرة والباطنة ، هو السفه ، والأمر المتعجب منه ، كما قال المشركون : ^ (أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب) ^ . ثم أخبر أيضا ، أن الذين يعبدونهم من دون ا ، في شغل شاغل عنهم ، باهتمامهم بالافتقار إلى ا ، وابتغاء الوسيلة إليه فقال : ! 2 2 ! من الأنبياء والصالحين والملائكة ! 2 2 ! أي : يتنافسون في القرب من ربهم ، ويبذلون ما يقدرون عليه ، من الأعمال الصالحة ، المقربة إلى ا تعالى : ! 2 2 ! فيجتنبون كل ما يوصل إلى العذاب . ! 2 2 ! أي : هو الذي ينبغي شدة الحذر منه والتوقي من أسبابه . وهذه الأمور الثلاثة ، الخوف ، والرجاء ، والمحبة ، التي وصف ا بها هؤلاء المقربين عنده ، هي الأصل ، والمادة في كل خير . فمن تمت له ، تمت له أمور . وإذا خلا القلب منها ، ترحلت عنه الخيرات ، وأحاطت به الشرور . وعلامة المحبة ، ما ذكره ا ، أن يجتهد العبد في كل محل يقربه إلى ا وينافس في قربه بإخلاص الأعمال كلها ، النصح فيها ، وإيقاعها في أكمل الوجوه المقدورة عليها . فمن زعم أنه يحب ا بغير ذلك ، فهو كاذب . ! 2 ! 2 أي : ما من قرية من القرى المكذبة للرسل ، إلا لا بد أن يصيبهم هلاك يوم القيامة ، أو عذاب شديد ، كتاب كتبه ا ، وقضاء أبرمه ، لا بد من وقوعه . فليبادر المكذبون بالإنابة إلى ا ، وتصديق رسله ، قبل أن تتم عليهم كلمة العذاب ، ويحق عليهم القول . ! 2 ! 2 يذكر تعالى رحمته ، بعدم إنزاله الآيات ، التي اقترحها المكذبون ، وأنه ما منعه أن يرسلها ، إلا خوفا تكذيبهم لها . فإذا كذبوا بها ، عاجلهم العقاب ، وحل بهم من غير تأخير ، كما فعل بالأولين الذين كذبوا بها . ومن أعظم الآيات ، الآية التي أرسلها ا إلى ثمود ، وهي الناقة العظيمة الباهرة ، التي كانت تصدر عنها جميع القبيلة بأجمعها ، ومع ذلك ، كذبوا بها ، فأصابهم ما قص ا علينا في كتابه . وهؤلاء كذلك ، لو جاءتهم الآيات الكبار ، لم يؤمنوا . فإنه ما منعهم من الإيمان ، خفاء ما جاء به الرسول واشتباهه ، هل هو حق أو باطل ؟ فإنه قد جاء ومعه من البراهين الكثيرة ، بما دل على صحة ما جاء به

الموجب لهداية من طلب الهداية فغيرها مثلها ، فلا بد أن يسلكوا بها ، ما سلكوا بغيرها ، فترك إنزالها والحالة هذه ، خير لهم وأنفع . وقوله : ! 2 2 ! أي : لم يكن القصد بها أن تكون داعية وموجبة للإيمان ، الذي لا يحصل إلا بها . بل المقصود منها ، التخويف والترهيب ، ليرتدعوا عن ما هم عليه . ! 2 2 ! علما وقدرة ، فليس لهم ملجأ يلجؤون إليه ، ولا ملاذ ، يلوذون به عنه . وهذا كاف لمن له عقل في الانكفاف عما يكرهه ا الذي أحاط بالناس . ! 2 2 ! أكثر المفسرين على أنها ليلة الإسراء . ! 2 2 ! التي ذكرت ! 2 ! 2 وهي شجرة الزقوم ، التي تنبت في أصل الجحيم . والمعنى ، إذا كان هذان الأمران ، قد صارا فتنة للناس حتى استلج الكفار بكفرهم ، وازداد شرهم ، وبعض من كان إيمانه ضعيفا ، رجع عنه بسبب أن ما أخبرهم به من الأمور التي كانت ليلة الإسراء ، ومن الإسراء من المسجد الحرام ، إلى المسجد الأقصى ، كان خارقا للعادة . والإخبار بوجود شجرة ، تنبت في أصل الجحيم أيضا ، من الخوارق فهذا الذي أوجب لهم التكذيب . فكيف لو شاهدوا الآيات العظيمة والخوارق الجسيمة ؟ أليس ذلك أولى أن يزداد بسببه شرهم ؟ فلذلك رحمهم ا وصرفها عنهم . ومن هنا تعلم أن عدم التصريح في الكتاب والسنة ، بذكر الأمور العظيمة التي حدثت في الأزمنة المتأخرة ، أولى وأحسن ، لأن الأمور التي لم يشاهد الناس لها نظيرا ، ربما لا تقبلها عقولهم ، فيكون ذلك ريبا في قلوب بعض المؤمنين ، ومانعا ، يمنع من لم يدخل الإسلام ، ومنفرا عنه . بل ذكر ا ألفاظا عامة ، تتناول جميع ما يكون ، وا أعلم . ! 2 2 ! بالآيات ! 2 2 ! التخويف ! 2 2 ! وهذا أبلغ ما يكون في التحلي بالشر ومحبته ، وبغض الخير وعدم